ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدة من مقاساة اعدائه واذاهم له
ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من
معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة
ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه
الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف
لا في مقصد ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون
الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده
ويحققون قوليه ويجتنب ذلك من عساه لا يفقه او يختبي به فتنة
فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه
من ذلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن
فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستجاره لرعاية الغنم في ابتداء
حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واجرنا الله بذلك
عن موسى عليه السلام وهذا لا اغضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره
على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عباده
جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج لله تعالى
لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة امم من خليقته
بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم كذلك قد ذكر الله
بمنه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذكر لها
على وجه تعريف حاله والخبر مبتدا به والتعجب من منح الله قبله و
عظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على بنوته وصحة دعوته
اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناداه من اشرافهم
شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم و
استباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده

بنصره

بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين
ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحب كثير من الجهال
اذ ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين
سأل ابا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان
في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا بتة من صفته
واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا
وقع ذكره في كتاب ارميا ونهذا وصف ابن ذي يزن لعبد المطلب
وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله به
فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى
من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح
صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول
ووجود مثل ذلك من رجل يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن
مقتضى العجب ومستهى العبر ومعجزة البشر وليس فيه ذلك نقيصة
اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة
موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب
استغنى عن الوسيلة والسبب والامية في حقه نقيصة لانها
سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره
وجعل شرفه فيما فيه مخالفة سواه وحياته فيما فيه هلاك من
عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياة وغاية قوة
نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته
وفنايه وهلم جرا الى سائر ما روى من اخباره وسيره ونقله
من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته
نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية

Copyright © King Saud University